Issue 6161-6162 Saturday-Sunday 6-7/10/2018
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6161-6162 السبت–الاحد 28 من محرم 1440 هـ 6–7 من تشرين الاول (اكتوبر) 2018م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21. UK

فك التشفير

العراق والإمارات .. دورة الزمن والتاريخ

ياس خضير البياتي
الامارات

ترددت أكثر من مرة في كتابة موضوع صحفي واحد عن الامارات خلال تواجدي فيها أكثر من ربع قرن، لأنني اعرف باليقين بأنني لن أسلم من (القيل والقال) و(الهمز واللمز)، لأنها جزء من ثقافتنا الاجتماعية، وممارستنا القبيحة، ونرجسيتنا المريضة، لولا حال العراق اليوم، وصورته المحزنة التي يدمن لها القلب، وعشقنا له، ومرضنا به، بعد ان كان عراقا حقيقيا بتألقه وعنفوانه. ولولا غصة النفس، وحسرة القلب، لما نشاهده في امارات الدهشة، وامنياتنا اليومية ان يكون عراقنا مثله، وان يتمتع أطفال العراق بما يتمتع به الطفل الاماراتي من دلال طفولي نادر، وان يحصد العراقي سعادة ورفاه الاماراتي، ورقي ما يقدم له. ولما لا فالعراق صاحب الفضل على البشرية حضارة وعلما وشهامة. وأعرف أيضا ان العراقي القادم الى الامارات سينبهر ويلعن حظه العاثر ويردد قولا مأثورا:(ليش ما نصير مثلهم...شنوا ينقصنا)، وماذا يعوز الوطن غير حكام تستنهض عراقتيهم الحقة، وتمتزج وطينتهم بطين حر الفراتين؟ نعم أنا على يقين ان المعدن لم يفقد معدنتيه، وأن تغير السابك لم يتغير المسبوك. أعترف ان الامارات تستحق بجدارة ان تكون ما نشيت كبير للتباهي بها، والتغزل بمنجزاتها، وجمالها الصحراوي المحدث بالحياة العصرية الحديثة، لأنني شاهد حقيقي على أيام تحديات البناء والتنمية ،وهي فترة كافية ان تعرف اسرار تطورها، ومنجزاتها المبهرة، وعالميتها بالمبادرات المدهشة، وتفوقها على دول كبرى في سعادتها، وتنميتها المذهلة ،ونظام جودتها ، وبنيتها التحتية، وطيرانها وموانئها ومطاراتها، ومجمعاتها السكنية الراقية، ومؤسساتها الرسمية ذات خمس نجوم، واسرار تدفق الملايين من البشر لسياحتها وفنادقها ومراكز تسوقها. الامارات في قياس الزمن والارقام، تجربة ثرية في البناء والافعال والإرادة، اختصرت دورة التاريخ بحكمة التنمية، وبعقل المستقبل، كأنها تريد ان تسابق الزمن التقليدي ، بزمن الارقام القياسية، لتحقيق رؤية الإمارات ? 2021وعلى طريق إنجاز أهداف مئوية الإمارات حيث التطلع الى ان تكون ? 2071 أكثر البلاد مناطق العالم أماناً، وفي مقدمة الدول التي تقدم خدماتها الحكومية الذكية عبر الهاتف المتحرك، ولديها بنية تحتية عالمية ومتنوعة، ويجد فيها رجل الأعمال المستثمر ضالته، وتمتلك رصيداً متميزاً من المدارس والجامعات ورياض الأطفال على قاعدة الوصول إلى مخرجات بشرية متميزة وقادرة على تحمل مسؤوليات اليوم والغد. لذلك لم تبخل ان تضع أكبر ميزانية في تاريخها البالغة مليار درهم للسنوات الثلاث، 180 بمتوسط يبلغ نحو 60ملياراً سنوياً، ومعظمه تم رصده في مجالات الإنفاق على ضمان رخاء المواطن، وتمتعه بصحة جيدة، وحصوله على أعلى قدر يطمح للوصول إليه من التعليم، وتمتعه بأعلى درجات الأمن والأمان على حياته وممتلكاته، حاضره ومستقبله.

نجومية الامارات

وبعد هل تحتاج الامارات الى شهادة صحفي يكتب عنها مجرد انطباعات عابرة، وهي نجمة تتلألأ في سماء العرب، لتضيء ظلمة العرب، وهي الشاهدة بأفعالها ونجوميتها العالمية، أم انني اريد توضيح رسالة ذا معنى ودلالة؟ الامارات هي الدرس الكبير، والتجربة الثرية، والتحدي المدهش بالإرادة، والانتماء للوطن، والابتكار للرقم الأول، بعد ان كانت امارة صحراء في البيئة والعقول والمنجزات، ولتجتاز دول عربية كثيرة بعصريتها وحداثتها، ومنها العراق، بعد ان كانت املها ان تصبح عراق السبعينيات، وأن يكون لها مدينة كالبصرة أو بغداد، وان تكون لها جامعات وتعليم وحياة مدنية، ورقي حضاري، مثلما عليه عراق الامس. بينما دورة الزمن تجعل العراقي يحلم اليوم ان يكون له مدينة تشبه أبو ظبي ودبي، وان يكون سعيدا ومرفها مثل الاماراتي، وان ينعم اطفاله برفاهية أطفالهم ومدارسهم وملاعبهم الجميلة ونافورتاهم الراقصة والمبهجة، بل يبتهلون الى الله ان ينعم عليهم بقادة يشبهون قادة الامارات وطنية وعطاء واخلاصا وحكمة. فماذا حل بالزمن ودورة التاريخ؟

نعم ستدهش عندما تعيش مدة طويلة فيها، لأنك ستكتشف ما تراه العين لأول وهلة، وتكتشف اسرار قوتها وحكمتها، وتكتشف تواضعها وتسامحها وكرمها وامنها وانسانها الأصيل، وحبها حد الدهشة للعراق، ولهجته العراقية، وقدسيته لعلم العراق وحضارته. مثلما سترى شيوخها الذين لا تغلق ابوابهم للمواطنين والمقيمين، فهي بيوت شامخة بأهلها لا ترضى الا ان تزورها وتتحدث مع أهلها. وابسط شيء في الامارات، على عكس أوطاننا، أنك تستطيع ان تدخل قصور الحكام، وكأنك في زيارة لأحد الأصدقاء، ولن تجد الاف الجنود والحرس والمدرعات في استقبالك كما يحدث في قصور حكامنا، بل ستجد ما لا تصدقه حتى في الاحلام، أنك تجالس حاكم امارة يخجلك تواضعه وبساطته وحديثه الحميم.

افعال... لا اقوال

الخبر اليقين في الامارات، يقرأ عندما تعيش معهم، حياتهم وتجربتهم ومنجزاتهم، لتكتشف بالأفعال، كم كانت هذه الدولة حريصة على بناء الانسان، وتدريبه عصريا، حتى تجد اليوم معظم قادة الامارات يقودون مؤسسات بلادهم بطريقة حديثة مدهشة، وكم شخصية إماراتية أخذت طابعا عالميا في خبرتها وسمعتها. ولو اردت ان تحصي عددهم وتخصصاتهم النادرة في السياسة والتنمية والطاقة المتجددة والاستثمار والمال والطيران والصناعة والتعليم والاقتصاد، لوجدنا صعوبة في ذكر الأسماء والالقاب. بل ان هذه الدولة السعيدة، هي دولة حياة بامتياز، وتدعو الى الحياة، وتحرض الناس على الحياة تحريضا، وتستقبل غدها بوعي المستقبل، وبلغة المستقبل. ومع ذلك يأتيك البعض ليفلسف لك الأمور بعقلية السبعينات وثورياتها، أو بعقلية الحاضر وجذورها الطائفية، ليضع لنا قائمة تبريرات لا تنتهي: العمالة والاستشاريين والمال، وكأن اوطاننا من الماس الصافي لا تحكمها الدول الكبرى والصغرى، وتاريخنا ناصع البياض، واقوامنا تعيش في مدن الفارابي الخيالية. ولقد وصلت من خلال النقاش الى حقيقة مفادها، ان البعض لا يريد معرفة الحقيقة، حتى ولو كانت ساطعة مثل الشمس، وله عناد جاهل، وعصبية أحمق، وتفكير قبيلة جاهلية، وتزمت طائفي. رغم انهم يعيشون في اوطان تخلف، لا تتناسب مع إنسانية الانسان، ويشكون ليلا ونهارا بما آلت فيه أوضاع البلاد والعباد! الامارات مدرسة كبيرة في الحكمة والتنمية، وأول درس تعلمناه هو الحاكم، فقد كان الشيخ زايد رحمه الله، حاكما حكيما، كان المؤسس الحقيقي للنهضة، والأب الحنون لكل الاماراتيين والمقيمين، لم يكن جنرالا عسكريا، وخبيرا اقتصاديا وصناعيا، انما كان عقله يتسع لكل هذا العلم بفطرية الحكيم، وحبه للعلم، وعشقه للوطن.

كان حالما وعاشقا ومعلما ووحدويا ومتواضعا وصاحب إرادة، لهذا أسس هذا الصرح المبهر للعالم بعقلية الحكيم، وأستعان بتواضعه بخبرات عراقية وعربية وعالمية لتأسيس الوطن الاماراتي.

وما العيب ان يستعين الحاكم بالخبرات المختلفة، وما العيب ان تستعين الدول بخبرات العالم ما دام حصاد الخير للشعب؟

فقاعة عبعوب

لا تقل لي يا صاحبي، اننا بلد الكبرياء والعزة ، فقد مات شعب العراق قهرا وموتا منذ ان أصبحنا ثورا وجمهوريين وفدائيين وعقائديين وديمقراطيين، لأنه جلب لنا موت الحروب، وغزوات القبائل، وظلم الحكام والاحزاب ،وجلب لنا ثقافة المكارم والعطايا ،وتوزيع الحصص والمؤن بميزان البخل ، كأننا بلد زراعة الفجل والبصل، لا ارض النفط والرافدين والخيرات ، مثلما جلب لنا أيضا المآتم والاحزان، حيث ضاق الوطن بالمقابر بدلا من المصانع ودور العلم والثقافة ،وقتل في شبابنا جذوة الامل بالحياة، فضاقت بهم شوارع ومقاهي الوطن بانتظار العمل والحياة والامل! لقد قضينا شبابنا ندرس التاريخ والجغرافيا بعين واحدة ،ونحلم بالوحدة العربية، والأمة العربية الواحدة، والرسالة الخالدة، ونحلم بالمستقبل عسى أن يأتي، ونحفظ كل الأغاني الوطنية، وطني الأكبر، ويا أهلا بالمعارك، لكننا لم نحصد من هذه المعارك ، الا اوطان خربة، ونفوس مهدمة، وأوطان محتلة ،وشعوب مشردة من اوطانها، وحروب ونزاعات طائفية تقسم المقسم وتضرب المحدث ،حتى اخذ العمر منا الكثير ،ولم نجد بعد هذه السنوات ، الا وطنا محتلا ممزقا ،وحكاما من كل الجنسيات الأجنبية ،وعشائر تحكمنا بالسيف والفصل ، وأحزاب دينية لا تخاف الله ،وتبتز أفكارنا بسلطة الغيبيات، وسياسيون من الموديل الحديث لا يفقهون علما وسياسة ،لكنهم بارعون في عقد الصفقات ونهب الثروات .ثم يأتيك البعض ليتبجح بالديمقراطية الجديدة وبيته مهدم الاسوار بالموت والطائفية والفقر. أو يأتيك خبيرا في المجاري كعبعوب الذي أصبح فقاعة من الماضي، ليصف لنا دبي بأنها فقاعة، بينما هذه الامارة تنعم حضورا بأعلى مستويات العالمية في السعادة والرفاهية والتنمية.

أين العراق؟

أنظروا لواقع الامارات الحاضر وتجلياتها المشرقة: مواطنون يعيشون كأسعد شعب، وأكثر رفاهية في العالم، بعد ان كانوا شعب يقتاد عيشه على البحر، ويعيشون في اكواخ من الطين وسعف النخيل، وعيونهم على العراق كقدوة للعيش والوجود، ويتباهون به امام العالم أيام الزمن الجميل. أنظروا لجواز الامارات الذي أصبح التاسع عالميا من حيث القوة، بينما جوازنا أصبح وصمة عار على العراقي في المطارات والدول، وماركة مسجلة للإرهاب والموت. أنظروا لحصاد البيدر الاماراتي الضخم ... وحصاد البيدر العراقي الهزيل! وطن صاعد للقمم يتزاحم مع الأمم الكبيرة للحصول على الريادة في مواقع التنمية والسعادة، ووطن مريض تفتك به حروب الطوائف والقبائل ويعود للوراء مائة عام! ماذا حل بوطن النخيل والانبياء والمعارف، وهو صاحب الحضارات والتاريخ والجغرافيا، وملهم البشرية، ابجدية وعلما، أن تنتكس راياته، وان يكون في آخر الأوطان تخلفا وتعاسة وفقرا. ماذا حل بوطن الرافدين الذي يموت العراقي عطشا، ومرضا بالكوليرا والاوبئة، وأسنة الأنهر والمجاري والمزابل.

ماذا حل بالوطن الذي لا يريد ان يتعلم من الآخرين أسرار الحكم والتمية والتنافسية والسعادة، ويعتقد انه الافضل والاحسن، ام اننا مازلنا أقوامنا جاهلية نعيش بعقل امجاد الماضي (امجاد ياعرب امجاد)! قل لي يا صاحبي المسكون بالماضي، بعقل منفتح، من كان على صواب أو خطأ، الثوريون والديمقراطيون والأحزاب الدينية، أم أصحاب الحكمة والتنمية والتواضع؟ اليس ما نراه اليوم على الواقع في اوطان الحاضروالمستقبل تلخص لنا المشهد: ان من صنع مستقبل الأوطان المزدهرة هو الذي قرأ المستقبل برؤية العلم والتنمية، لا برؤية الحروب وثقافة النهب والفساد؟

اليس عيبا وحزنا أن يقول لنا الغير أين العراق؟

□ أكاديمي واعلامي

المرشّح الدائم والعنوان الأهم

رافد جبوري
لندن

بعد اسابيع قليلة من انتخابات مجلس النواب العراقي الاولى وقف عبد العزيز الحكيم رئيس الائتلاف العراقي الموحد (الشيعي) ليعلن بوجه واجم عن تهنئته لابراهيم الجعفري. صوت واحد كان قد رجح زعيم زعيم حزب الدعوة الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء المؤقت على عادل عبد المهدي مستشار ال الحكيم السياسي المقرب ومرشحهم لمنصب رئاسة الوزراء. شاهد الحكيم المنصب وهو يذهب الى الدعوة مرة اخرى ولكن بفارق صوت واحد ,القى التيار الصدري حينذاك بكل ثقله خلف الدعوة ومرشحها نكاية بالحكيم ومجلسه الاعلى. هنأ عبد المهدي الجعفري الذي طلب من عبد المهدي بفذلكته اللفظية المعهودة بان يعزيه ولا يهنئه.

كان العراق كله في الواقع على موعد مشؤوم بعد ايام من تلك الانتخابات الشيعية الداخلية حينما صحا البلد على خبر تفجير قبة مرقد الامامين العسكريين في سامراء. مرت ايام واسابيع سوداء انتشر فيها العنف الطائفي على مستويات متعددة. سياسيا ضعف الجعفري مع استياء الاميركيين من اداءه وتوجهاته وغضب الكرد من تشدده تجاههم و اتهامات السنة له بتعزيز الطائفية. كل ذلك ادى الى ازاحة الجعفري من المنصب الذي فاز به لكن الفرصة لم تعد لعبد المهدي فقد اشترط الجعفري الا يقلد المنصب الا واحد من حزبه ,حزب الدعوة فصعد المالكي ووقف الحكيم وعبد المهدي متفرجين مرة اخرى على مشهد سياسي شيعي تسيده المجلس الاعلى ايام المعارضة لكنه خرج عن سيطرته عند الحكم.

حصل عبد المهدي على منصب نائب رئيس الجمهورية كجزء من التسوية. لكنه بقي مرشحا محتملا لرئاسة الوزراء. قبل ان تاتي الجولة الانتخابية التالية تعرض عادل عبد المهدي لاقوى ضربة سياسية في حياته عندما تفجرت فضيحة مصرف الزوية. صدم تماما حينما تيقن ان افرادا من حمايته قاموا فعلا بمهاجمة المصرف وسرقته وقتل الحرس. سلمهم وتعاون تماما مع التحقيقات. رغم ان معظم من يتذكر تلك الحادثة من المطلعين يعتقد انها كانت مؤامرة سياسية استباقية لاجهاض احلام عبد المهدي برئاسة الوزراء الا ان اللقب الشعبي (عادل زوية) الذي اطلقته عليه جماهير حانقة دوما على الطبقة السياسية لازم الرجل وسيبقى مستخدما من اعداءه وكارهيه. رغم صلابة عادل عبد المهدي وخبرته السياسية الا ان الضربة كانت قوية يروي احد اصدقاءه انه ولمدة اسبوعين تقريبا لم يتواصل مع العالم الخارجي وقضى اياما طويلة بساعاتها امام التلفزيون يشاهد قناة للافلام الاجنبية بدون انقطاع.

رغم قوة الضربة الا ان عادل عبد المهدي عاد مرشحا بعد انتخابات عام الفين وعشرة. في معركة علاوي الفائز بفارق بسيط والمالكي المتشبث بالكرسي طرح اسم عبد المهدي كمرشح تسوية مقبول من اكثر من طرف ,لكن المعركة انتهت بولاية ثانية للمالكي وتمديد لعبد المهدي في نيابة الرئيس طالباني.

استقال عبد المهدي بعد ذلك من منصبه متوجها لما يشبه اعتزال العمل السياسي المباشر لكنه لم ينقطع ابدا عن القراءة المتابعة وبدأ بالانتظام في كتابة عموده اليومي في جريدته العدالة. لا اتفق مع معظم ما كتبه عبد المهدي عبر السنين ولا مع مناهجه وتحليلاته وتوجهاته كما ان اسلوبه وتحريره يحتاج للمسات احترافية من محرر محترف لكنني بالتاكيد احترم مثابرته ودأبه على الكتابة كوسيلة راقية للتعبير والتواصل والدراسة. اسجل هنا ان كثيرا من زملائه السياسيين لا يقراون الا بالصدفة ولا يتابعون الصحف وما تنشره ولا يركزون سوى على وسائل التواصل الاجتماعي.

حقيبة النفط

عاد عبد المهدي ليتولى حقيبة النفط في وزارة العبادي ,وكان قد تولى وزارة المالية في عهد اياد علاوي ,استقال مرة اخرى في التعديل الوزاري الذي اتى بوزراء وصفوا بالتكنوقراط. عاد عبد المهدي الى حياته الخاصة مستمرا على كتابة عموده اليومي. ابتسمت قبل اشهر معارضا ما اخبرني به صديق مشترك بان عادل عبد المهدي قد زهد بالسياسة ومناصبها. لا احد في الطبقة السياسية في العراق يزهد بالمناصب وان كان عادل عبد المهدي يتباهى بانه في الماضي استقال من اكثر من منصب. اصبح عادل عبد المهدي رئيسا للوزراء اخيرا. تدل المؤشرات على ان هناك مباركة من مرجعية السيستاني ودعما له من التيار الصدري الذي اطاح بمسعاه للرئاسة قبل اثني عشر عاما. ليس طامعا بالسلطة وان كان ليس زاهدا فيها بالطبع. من يعرفه شخصيا يعرف انه حازم وصاحب قرار اوضح ممن يشغل المنصب حاليا, لكنه ايضا هادئ وليس اهوجا مثل من شغل المنصب قبل ذلك. رغم انتماءه للاسلام السياسي الشيعي الا انه لا يحمل العقد التي يحملها قادة حزب الدعوة. لكنه يبقى رمزا من رموز طبقة سياسية وصل استياء الجمهور منها الى مديات بعيدة. العنوان الاهم في المرحلة المقبلة هو التحدي الاقتصادي وهذا هو صميم اختصاص عادل عبد المهدي الذي لا يحمل شهادة الدكتوراه وان كان يطلق عليه خطا احيانا او تملقا احيانا لقب الدكتور. مع ذلك هو قارئ وباحث وكاتب في السياسة والاقتصاد الذي يحمل فيه شهادتي بكلوريوس وماجستير. قبل ذلك تلقى تعليمه الثانوي في ثانوية كلية بغداد افضل مدارس العراق في عصره وعصور تلت. عاش عبد المهدي طويلا في فرنسا التي اجاد لغتها بالاضافة لاجادته للانكليزية. حصل على الماجستير من جامعة بواتيه, بواتيه التي كانت اخر مدينة في اوربا وصل اليها العرب المسلمون في فتوحاتهم الاولى لعل خواطرا مرت على خياله هناك وهو يتامل ذكريات العرب وضياع حلمهم باحتلال فرنسا واوربا كلها على يد شارل مارتيل. تعدد واختلفت وتناقضت فصول حياة عادل عبد المهدي. انتمى للبعث وفكره القومي في شبابه الاول حينما وقف البعث ندا وخصما عنيدا لعبد الكريم قاسم وفرديته واقليميته العراقية. كان قاسم قبلها قد اطاح بالنظام الملكي الذي كان فيه عبد المهدي المنتفجي ,والد عادل وزيرا ووجيها معروفا. لم ينل عبد المهدي شيئا من سلطة البعث الذي هجر فكرها بعد سنوات ذاهبا نحو الجناح الماوي في الحزب الشيوعي (جناح القيادة المركزي) كان ذلك هو الجناح الذي اختار طريق المواجهة المسلحة مع النظام الحاكمة نهاية الستينيات ثم انهار وصغر حتى تلاشى لكن عبد المهدي لم يتلاشى معه. جاءت الثورة الايرانية ليعود عبد المهدي لهويته الشيعية متبؤا منصبا رفيعا قريبا من محمد باقر الحكيم في زعامة المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق.

سلام داخلي

يقف رئيس الوزراء عادل عبد المهدي امام مشاكل سيكون عليه ان يقدم لها حلولا لا اقوالا ووعودا مثل سلفه. فاستعادة الاراضي من تنظيم داعش لم تأت للعراقيين بالسلام الداخلي ولا الاعمار ولا الازدهار الاقتصادي بل العكس تماما ,كما ان ازاحة الكرد من كركوك والمناطق المتنازع عليها لم تحل المشاكل بين المركز والاقليم. يقف امام جمهور غاضب لا يبدو مستعدا لقبول اي اسم في الرئاسة سواء من الاسماء القديمة المتداولة او الاسماء غير المعروفة. لكن عهدا جديدا قد بدأ فقد خسر حزب الدعوة رئاسة الوزراء التي ظل قابضا عليها منذ عام الفين وخمسة. يتمتع عادل عبد المهدي ورئيس الجمهورية الجديد برهم صالح بعلاقة طيبة مع كل من طهران وواشنطن. لا اميركا خسرت ولا ايران اما مستقبل العراق فتحدده السياسات وصناعتها في العراق صعبة والظروف ,وهي كما قلنا ليست سهلة.

> يقف رئيس الوزراء عادل عبد المهدي امام مشاكل سيكون عليه ان يقدم لها حلولا لا اقوالا ووعودا مثل سلفه. فاستعادة الاراضي من تنظيم داعش لم تأت للعراقيين بالسلام الداخلي ولا الاعمار ولا الازدهار الاقتصادي بل العكس تماما ,كما ان ازاحة الكرد من كركوك والمناطق المتنازع عليها لم تحل المشاكل بين المركز والاقليم. يقف امام جمهور غاضب لا يبدو مستعدا لقبول اي اسم في الرئاسة سواء من الاسماء القديمة المتداولة او الاسماء غير المعروفة.

في إستشكال حوار الحضارات

عبد الحسين شعبان
بيروت

استشكلت الحديث عن "حوار الحضارات" مثلما "صراعها"، لاعتقادي إننا وإنْ كنّا من ثقافات مختلفة ومتنوّعة، لكننا ننتمي إلى حضارة واحدة وهي ما نعيشه اليوم مثلما عاشت البشرية في عهود أخرى حضارة مغايرة، وبقدر ما يمكن النظر إلى الحضارة باعتبارها "موحّدة"، فهناك تبايناً في فروعها المتعدّدة، وهي التي تمثّل الهويّات المختلفة لشعوب وأمم وثقافات ولغات وأديان اختلفت عن غيرها. ويمتد الكلام ليشمل "حوار الأديان" وفي أحيان أخرى "حوار المذاهب"، تقاربها أم صراعها، وبالطبع فالقاسم المشترك هو اختلافها، لأن الأخيرة تمثّل اجتهادات إزاء قضايا فقهية وعملية، تكوّنت رؤى وتصورات إزاءها عبر الزمن وبالتراكم والإضافة ، تارة لتقريب الدين وأخرى بعيداً عنه، حيث دخلت عليه عادات وتقاليد ومثيولوجيات ورغبات حكام أو فقهاء أو غير ذلك، وقد يكون هناك بون شاسع بين المقاصد الأولى وبين ما وصل إلينا من تشوّهات. ومن "حوار المذاهب" ننتقل أحياناً إلى حوار " الأقليّات" أو " القوميات" والمقصود المتحدرين منها من المجاميع الثقافية، والأساس في ذلك هو حوار الحقوق والحريات ومبادئ المساواة والعدالة والشراكة والمشاركة، وتلك أركان أساسية للمواطنة، تمثّل القيم الإنسانية المشتركة للأديان أو المذاهب أو القوميات أو الهويّات أو اللغات، بما فيها من مشتركات ومتداخلات وتمازج ثقافات في إطار الحضارة الإنسانية الجامعة في ظل التنوّع. والأمر له امتداد بعيد المدى، قديماً مثلما هو حديث بالطبع، خصوصاً في ظل العولمة والثورة العلمية – التقنية ، ولاسيّما ثورة الاتصالات والمواصلات وتكنولوجيا الإعلام والمعلومات والطفرة الرقمية " الديجيتل"، ووجدت الأفكار والمعتقدات طريقها إلى التلاقح منذ القدم حيث يكثر الكلام عن طريق الحرير سابقاً أو راهناً ومستقبلاً، وكان الإسلام وقبله المسيحية قد لعبا أدواراً أساسية ومهمة في إطار امتزاج ثقافات الشعوب وتأثيراتها على الحضارة الكونية الموحّدة والمتنوّعة في الآن. الحوار اليوم أصبح " فرض عين وليس فرض كفاية" كما يقال، سواء على صعيد العلاقات الدولية أو العلاقات الإقليمية والمحلية، لأنه لا غنى عنه وهو اضطرار مثلما هو اختيار، لأن عكسه سيعني استمرار الصراع والاحتراب الذي قد يقود إلى نزاعات دولية أو أهلية، خصوصاً إذا ما دخل الدين والاختلاف الطائفي والقومي عليها ، فستكون هذه الصراعات كارثية، لأنها تتعلق بقيم السماء وليس بالأرض، وهكذا تتخذ طابعاً إلغائياً وإقصائياً وإستئصالياً. ويمثّل الحوار بعداً إنسانياً مجتمعياً أساسه الإقرار بالتنوّع وقبول التعددية والاعتراف بالآخر والحق في الاختلاف، ولا حوار متكافئ دون ذلك، وهذا يفترض إيجاد مساحة مشتركة للجميع ومحاربة التعصّب ووليدة التطرّف ونبذ الكراهية والعمل على توفير الفرص المناسبة للتسامح والسلام وبالتالي الانتقال من الاحتراب إلى التعاون دون إلغاء الفروق فالصراع سوف لا ينتهي، ويبقى قائماً ويأخذ أشكالاً متعدّدة، سلمية ولا عنفية، هدفها تعزيز القيم المشتركة وتطوير التنمية وتحقيق السلام والمشترك الإنساني، لاسيّما حين يعتمد على المنافسة الإنسانية الشريفة لما هو أصلح وأفضل. وتشكّل ظاهرتا العنف والإرهاب وهما نقيضا الحوار ومن الظواهر التي تواجه مجتمعاتنا، خطراً حقيقياً على البشرية والحضارة الإنسانية وثقافاتها المتعددة، لأن الإرهاب لا دين له ولا جنسية ولا قومية ولا لغة ولا أصل اجتماعي؛ إنه يضرب في كل مكان، وقد ارتفع منسوبه بعد أحداث 11 سبتمبر/أيلول الإرهابية العام 2001. وإذا كان العنف لاعتبارات شخصية ونفسية، سياسية أو فكرية أو قومية أو دينية أو مذهبية يخضع للقانون الجنائي، باعتبار أن المرتكب يستهدف الضحية بعينها، فإن الإرهاب أشمل وأوسع، لأنه يستهدف خلق الرعب والذعر والهلع في عموم الدولة أو في المجتمع الدولي، ولاسيّما أعمال الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحروب، تلك التي ينبغي إخضاعها لقواعد القانون الدولي . وعلينا التمييز بين إرهاب الدولة وإرهاب الجماعات أو الأفراد فـ "إسرائيل" تمارس إرهاب الدولة بشكل صارخ وسافر لحقوق الشعب العربي الفلسطيني منذ تأسيسها في العام 1948ولغاية اليوم، في الضفة الغربية أو في قطاع غزة أو في الشتات، كما يمكن إدراج قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بنقل السفارة إلى القدس والامتناع عن مدّ منظمة الأونروا " غوث اللاجئين" بالمال الضروري لاستمرارها، ضمن أعمال إرهاب الدولة، مثلما هناك إرهاب الجماعات المسلحة الخارجة عن القانون وخاصة إرهاب الجماعات التكفيرية مثل داعش والقاعدة وأخواتها، إضافة إلى إرهاب الأفراد لاعتبارات سياسية في القتل والقنص والخطف وطلب الفدية وغير ذلك. لعل ما فتح الشهية لحوار موسع ومعرفي له علاقة بالحضارات والثقافات والأديان والقوميات واللغات والهويّات، هو ندوة موسكو التي نظمها مجلس شورى المفتين لروسيا عن " التعايش السلمي والحوار بين الحضارات والأديان" وهي موضوعة تحتاج إلى المزيد من البحث، لتوفير الأدوات الضرورية والمستلزمات الأساسية ، بل والبيئة المناسبة لفتح حوارات مجتمعية متعدّدة وفي الميادين كافة لتأكيد المشترك الإنساني.

□ باحث ومفكر عربي